

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة السادسة

البيان العلمي للعقيدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

أيها السادة والسيدات هذه هي المحاضرة السادسة من محاضراتنا في معالجة وبيان أمور العقيدة الإسلامية بالمنهج العلمي، وقد بدأنا في آخر محاضرتنا التي سلفت بالبحث في الأمور الغيبية التي لا بد للمسلم من معرفتها، وقد سبق أن أوضحنا أن الأمور التي يريد الإنسان أن يطلع عليها وأن يعرفها معرفة علمية صحيحة لا تخلو عن أن تكون أموراً خاضعة للحس فلا بد للوصول إلى معرفة سليمة بها من التجربة والمشاهدة واستعمال أدوات الحس، أو أن تكون هذه الأمور غير خاضعة للحس الإنساني وهي التي تتعلق بماضٍ سحيق قدم ليست بينه وبيننا جسور واصله أو تتعلق بأمر مستقبلية آتية لم تتحقق بعد، هذه الأمور تسمى قضايا غيبية ولا مناص للإنسان من أن يعرف كثيراً من هذه الأمور على الرغم من كونها غيبية، لكن ما هو الجسر العلمي الذي بواسطته يدرك الإنسان هذه القضايا الغيبية دون أن تتسلل الخرافة أو الأسطورة فتمتزج في ذهنه بهذه الأمور، قلنا: إن سبيل ذلك هو الاعتماد على الخبر اليقيني المتواتر المتصل بالمصدر الموثوق به ثقة علمية، وقلنا أيضاً: إن الإنسان في حياته الدنيا هذه يتعامل مع المجتمع ومع الحياة على أساس من هذا الناموس والقانون مهما كان دين هذا الإنسان أو مذهبه أو شرعته فهو منهج عقلائي لا علاقة له باختلاف المذاهب والآراء، وقلنا: على سبيل المثال إن الرجل المواطن في دولة عندما يستيقن أن في هذه البلدة قضاة مسؤولين يراعون العدالة ويملكون القدرة على تطبيقها، إذا سمع هذا الإنسان قانوناً جديداً يتحدث عن عقوبة معينة لجرمة ما فإن هذا المواطن يتفاعل ويستجيب ويصدق هذا القانون على الرغم من أنه قانون غيبي، لأن مصداقه لم يتحقق بعد وربما لا يكون أحد قد ارتكب جريمة ومن ثم فلم يعاقب أحد بعد هذه العقوبة، ومع ذلك فإننا جميعاً نؤمن بهذا القانون ونستيقن أن من فعل ذلك تعرض لهذا العقاب هذا خضوع لأمر غيبي ولكن من الذي يقول إن هذا الخضوع خضوع أسطوري أو

خرافي لأن المسائل الغيبية لا علاقة لها بالعلم إن الذي يقول هذا هو الذي يحتاج إلى شيء إلى شريحة من المعرفة وإلى أن يعكف على شيء من منهج الدراية الصحيحة حياة الإنسان مليئة بالخضوع للغيبات بل كما قلت وأعود فألخص الكلام الذي قلت لأبني عليه الجديد إن الإنسان لا يستطيع أن يتحرك في حياته وينشط في القيام بأي عمل من الأعمال إلا اعتماداً على يقين بغيب الماضي يأخذ منه العبرة وإلا اعتماداً على آمال غيبية مستقبلية يبنى عليها آمالاً.

وهكذا فإن الحركة الآنية من الإنسان تعتمد على شريحتين من شرائح الغيب أولاهما: اليقين بالماضي وقانونه وسننه والثانية التأمل بالمستقبل بناء على دراية هذا الماضي إذا عرفنا هذه الحقيقة تماماً إذن فلنكن على بينة أيها الإخوة والأخوات من أن المعرفة العامة للكون وهي هدف مقدس في حياة الإنسان المعرفة العامة للكون لا يستقيم إلا بتعاون كل من الخبر الصحيح والتجربة والمشاهدة المعرفة الكونية تتم بمزيج متناسق طبق منهج معين بين الخبر الصحيح اليقيني وبين التجربة والمشاهدة فمن قال أنا أملك عقلاً واعياً لست بحاجة إلى أخبار ولا إلى أنباء وإنما يكفيني أن أعتمد على عقلي فإنه لن يصل إلا إلى جزء يسير من المعرفة، ومن قال إنني أعتمد على الأنباء والأخبار الواردة ممن قبلي من الله والأنبياء ولا أعتمد على أي منهج من مناهج التجربة والمشاهدة فهو الآخر لا ينال إلا معرفة جزئية يسيرة ولكن الطريق الصحيح إلى المعرفة هو أن يعرف الإنسان دور كل من الخبر الصحيح والخبر الصحيح الذي يرقى إلى أعلى درجات الصحة هو الوحي الإلهي كلاً من الخبر الصحيح ووسائل التجربة والمشاهدة وهذه هي نقطة الضعف التي وقع فيها الفلاسفة قديماً لأنهم حاولوا أن يعرفوا كل شيء عن الكون اعتماداً على عقولهم فقط، ودون التفات إلى الوحي الذي يتمم وظيفة الحواس الإنسانية ويتمم وظيفة العقل.

وأحب أن أشبه لكم العقل الإنساني في سعيه إلى المعرفة بهذا البصر بالعين الإنساني أتلاحظون أن العين التي يتمتع بها الإنسان يستطيع أن يرى بها أشياء كثيرة لكن هنالك شرط أساسي لرؤية البصر بهذه الأشياء ألا وهو أن يوجد نور متكافئ أمامه فإذا وجد النور المتكافئ مع قوة البصر أمامه استطاع أن يستفيد من بصره واستطاع أن يرى الأشياء على حقيقتها فلو أن إنساناً ساذجاً أو أحمق قال أنا لي بصر حاد فما أغناني عن الضياء والنور ودخل في نفق مظلم وأراد أن يسير فيه إن هذا الإنسان مهما حملق ببصره يميناً وشمالاً فلن يرى شيئاً ذلك لأنه افتقد الشرط الأساسي الذي يمكن أن تتم به الرؤية بتعاون مع البصر كذلك البصيرة كذلك العقل مثل العين تماماً العقل يدرك ويعرف الأشياء ولكنه هو الآخر لا بد له من نور متكافئ يصاحبه في رحلته على طريق المعرفة ما هو

هذا النور المتكافئ للبصيرة إنه ليس نور الشمس الذي جعله الله نوراً للبصر وإنما هو نور الوحي الوحي الإلهي وهو قمة الخبر الصادق الصحيح هذا الوحي الإلهي هو النور المتكافئ الذي يعين العقل في طريقه على درب المعرفة وانظروا إلى دقة كلام الله عز وجل في تصوير هذا المعنى **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)** قد جاءكم من الله نور عندما نقف على كلمة نور هذه ندرك أن الإنسان بحاجة إلى نورين نور لبصره ونور لبصيرته فما أحق من يقول أنا رجل علم وأنا أملك عقلاً فأنا لا أحتاج إلى وحي ولا إلى أنباء غيبية إطلاقاً، هذا كمن يقول أنا أملك بصراً فلست بحاجة إلى ضياء الشمس لأبصر الأشياء إذن عرفنا الآن أن الأمور الغيبية لا مناص للإنسان من أن يعرفها ما دامت متصلة بمصيره وبمصلحه وعرفنا أيضاً أن هنالك منهجاً علمياً لإدراك هذه المعلومات الغيبية تجعل الإنسان معصوماً عن الوقوع في الخرافة وعن الوقوع في الأسطورة ونحو ذلك والآن وقد تجاوزنا مرحلة الإيمان بالله عز وجل بالطريقة العلمية التي اجتريتها وتجاوزنا مرحلة الإيمان بالنبوت والإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام نبياً لا عبقرياً وعظيماً ثم مرحلة الإيمان بأن القرآن كلام الله النبأ الصادق الذي وصلنا من عند الله إذن الآن امتلكننا الجسر العلمي الذي نعبره إلى القضايا الغيبية نصغي إلى كلام الله كل ما يقوله لنا الله عز وجل عن أنباء الماضي السحيق أو عن أخبار المستقبل البعيد فهو خبر علمي ثابت وإذا كان المواطن يستيقن بالقانون الذي يصدره رئيس دولة واحتمال الكذب من رئيس دولة وارد فما أغرب هذا المواطن عندما يرتاب في القانون الذي يصدره رب العالمين جل جلاله واحتمال الكذب هنا غير وارد إطلاقاً ما دمنا قد آمننا بالله عز وجل .

والآن ما هي هذه الأمور الغيبية التي يجب أن نعرفها والتي أمرنا الله عز وجل أن نكون على بينة منها ومنهجنا قد أصبح واضحاً هذه القضايا الغيبية كثيرة ولكننا سنتناول منها ما ينبغي للمسلم أن يكون على بينة منه بحيث لو جهله اهتز إسلامه في كيانه وانزلق ربما إلى هوية الكفر والضلال، أولاً: ينبغي أن نعلم ونستيقن أن هنالك خلائق أخرى من غير الإنسان هنالك مخلوقات اسمها الجن، وهنالك مخلوقات أخرى اسمها الملائكة ونحن لم نر الجن ولا الملائكة ولا سبيل لنا إلى معرفتهما على طريق التجربة والمشاهدة، ولكننا أصغينا إلى كلام الله عز وجل فرأيناه يقول **(وخلق الجن من مارج من نار)** بعد أن قال **(خلق الإنسان من صلصال كالفخار)** قال **(وخلق الجن من مارج من نار)** وقال **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** وقال **(وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن)** وقال **(قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن)** إلى آخر ما هنالك من آيات هذا كلام الله وقد عرفنا

واستيقنا بالدليل العلمي أنه ليس كلام محمد صلى الله عليه وسلم ولا كلام غيره من البشر أو الكائنات إذن فخير الله هذا الذي ورد إلينا بيقين يمتص كل ربية ويؤكد صدق هذا الخبر إذن هنالك خليقة اسمها الجن فلو أن إنساناً ارتاب باسم العلم وقال أنا لم أرَ الجن فأنا لا أصدق بهم فقد كفر لأنه كلاماً صريحاً واضحاً من رب العالمين سبحانه وتعالى، ولا نريد أن نطيل الكلام في مناقشة هؤلاء الذين يتجملون بألفاظ العلم بمقدار ما هم فقراء إلى حقيقة العلم.

كذلك الملائكة أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنهم **(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)** قد كرر الله سبحانه وتعالى بيان هذا في القرآن ولا نريد أن نطيل في استعراض هذه الآيات فمن ارتاب بوجود الملائكة فقد كفر وإن هو نطق بالشهادتين لأن كفره بالملائكة يساوي كفره بالقرآن أو بآية من صريح كتاب الله سبحانه وتعالى القرآن فإن قال لك ولكني لم أراهم فهذا من الحمق بمكان قل له ومن قال لك إن مقياس وجود الأشياء رؤية بصرك لها ما أكثر الأشياء التي لا يمكن أن يراها البصر ومع ذلك فالعلماء كلهم موقنون بأنها أشياء موجودة نعم ولا نريد أيضاً أن نطيل في هذا الموضوع إذن يجب أن نؤمن بأن هنالك خلائق أخرى في كون الله عز وجل هم الملائكة والجان ولعل هنالك خلائق أخرى أيضاً ولكننا لا نعرف شيئاً عنهم ونمسك عن اللغو في هذا ما دمنا لا نملك جسراً من الخير الصحيح اليقيني الوارد على سبيل المثال بعض الذين يتكلفون في منهج التصوف ونحوه يتخيلون ويقولون ويعيدون أن هنالك خلائق كانت قبل خلق الله لآدم على وجه الأرض ما أغناني عن أن أتعب نفسي وأكد عقلي في هذا هل كلفني الله بأن أو من بتلك الخليقة التي كانت على وجه الأرض قبل آدم كما كلفني الإيمان بالجان والملائكة لم يكلفني ولم يخبرني قط وعدم إخبار الله إلى الإنسان بذلك يقتضينا أن نتأدب مع الله فنمسك عن شيء لم يخبرنا عنه ولو شاء الله لأخبرنا ولذلك فلا داعي إلى أن نخوض في غمار هذا الموضوع الغامض كي لا نقع في الأساطير والخرافات فنحن بمقدار ما نؤمن بالغيب الذي جاء به القرآن بمقدار ما نمسك عن الخوض في طريق الغيوب التي يمكن أن تزحنا في أودية تيه وخرافة ونحو ذلك.

الأمر الآخر من الأمور الغيبية التي يجب أن نعرفها أحداث تتعلق بالموت ولا أقول الموت الموت ليس أمراً غيبياً أيها السادة والسيدات الموت من الأمور الخاضعة للتجربة والمشاهدة، نحن في كل يوم نشاهد أشخاصاً نودعهم ونراهم وهم ينتقلون من الحياة الآمنة المطمئنة إلى ما يسمى بالموت فالموت ليس أمراً غيبياً ولكن الأمر الغيبي أمور وأحداث تتعلق بالموت هي أولاً قبض ملك الموت للأرواح هنالك ملك وظفه الله عز وجل وأقامه على قبض الأرواح هذا أمر غيبي لأننا عندما نودع موتانا

ونجدهم يلفظون أنفاسهم شيئاً فشيئاً لا نجد ملكاً ولكنها الحقيقة انظروا إلى قول الله يخبرنا بهذا هذا هو الضياء العلمي الذي يجعلنا نؤمن بذلك **(قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون)** إذن هنالك ملك وظفه الله سبحانه وتعالى في قبض الأرواح وأحب هنا أن ألفت النظر إلى مسألة قد يظن أو قد يسأل سائل فيقول: هل الله بحاجة إلى أن يستعين بملائكته لقبض أرواح عباده لا أيها الإخوة إطلاقاً الأمر ليس منبثقاً من حاجة الله وكيف والله هو الذي خلق ملائكته وهو الذي أقدرهم على ذلك نعم بل انظروا إلى قول الله **(الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها)** إذن فالله هو الذي يتوفى الأنفس في الواقع والحقيقة ولكن الله عز وجل عودنا في ديانا هذه على نظام الأسباب والمسببات عودنا منذ أن خلقنا إلى أن نودع هذه الدنيا أن المطر يهطل بعد تكاثف الغيوم ونسبة من الرطوبة وأن النبات يخضر على وجه الأرض بعد هطول الأمطار وأن الطعام تنضجه النار وأن الماء هو الذي يروي وهكذا نسق الله الأمور كلها في حياتنا فوظف ملائكة أيضاً لقبض الأرواح ولكن الله هو الذي يقبضها حقيقة كما يقول.

ولا يقولن منا قائل ولكني لا أرى الملك فأعود إلى التذكير بالمنهج الذي قلناه وإن من الحمق أن يجبس الإنسان ذاته وعقله في دائرة عينيه أيضاً من الأمور الغيبية التي تتعلق بالموت سؤال الملكين الإنسان بعد موته ونعيم القبر أو عذابه إلى أن يحشر الله عز وجل الأجساد ويعيد إليها أرواحها كل ذلك مما يجب أن نعرفه وأن نؤمن به ولكني قبل أن أوضح هذا أحب أن أقول كلمة عن معنى الموت لتقرب لنا سبيل الإيمان بما يخبرنا به الله عز وجل كثير منا قد يظن أن الموت عدم وأن موت الإنسان أشبه ما يكون بشمعة كانت تضيء العرفة ثم إنها انطفأت وعادت ظلاماً فهم يتصورون الموت هكذا وما أبعد حقيقة الموت من الناحية العلمية لا أقول الدينية عن هذا الواقع أن الموت عبارة عن انتقال الكائن الحي في الدنيا في حياتنا هذه عبارة عن انتقاله من نوع من الحياة إلى نوع من الحياة الأخرى هذا المنعطف يسمى موتاً تماماً كما أن منعطف الولادة كان يسمى ولادة وهو في تصور الجنين إذ يعيش في رحم أمه موت لأنه كان يشعر أثناء انتقاله من دنياه الضيقة إلى الدنيا التي شاء الله أن ينقله إليها كان يشعر بخطر ما بعده خطر بأنه ينتقل من عالم فسيح يرى فيه أمنه وطمأنينته إلى ما لا يدري هذا المنعطف الذي بين حياة الأجنة وحياة الدنيا مثل المنعطف الذي يفصل ما بين حياتنا الدنيا والحياة البرزخية التي تلي هذه الحياة إذن الموت ليس عدماً إذن ما هو بالتفصيل الموت فيما قاله العلماء والفلاسفة وأكدته الإسلام عبارة عن حالة معاكسة لحالة حياتنا هذه أيها السادة روحنا محبوسة لحساب الجسد أي الروح حبيسة في هذا القفص الجسدي والروح تحاول أن تطل وأن

تنطلق ولكنها لا تستطيع إلا بمقدار إطلالتها من نوافذ الحواس فقط ألا ترون أن الإنسان عندما يشرف على آفاق واسعة من نافذة داره ينتعش أيما انتعاش هل سألتم أنفسكم ما سر هذا الانتعاش إن سر هذا الانتعاش يكمن في أن الروح في هذه الإطلالة اشتاقت إلى انطلاقتها اشتاقت إلى اليوم الذي لم تكن فيه حبيسة هذا القفص فهي تتأمل الانطلاقة الثانية، ولا أريد أن أطيل إذن حياتنا الدنيا الآن عبارة عن أن الروح محبوسة في قفص الجسد فإذا مات الإنسان انعكس الأمر أصبح الجسد محبوساً لحساب الروح انطلقت الروح على سجيتها اللهم إلا إذا ختم لصاحب هذه الروح بالشقاء فإن الروح تبقى حبيسة لكن لا في الجسد في مكان آخر سماه الله سجين نعم لكن الإنسان الذي ختم له بالمغفرة أو الرضوان هذه الروح تنطلق ويصبح الجسد تابعاً للروح بعد أن كانت الروح في حياتنا اليوم تابعة للجسد وتسالون كيف يكون الجسد تابعاً للروح وهو قابع في قبره نعم رأيتم إلى الشمس وهي تتحرك في الكون أو إذا أحببت أن تتصور أن الشمس لا تتحرك كما يقول بعض الفلكيين فتصور كما تحب نعم رأيتم إلى الشمس البعيدة كل البعد عن الأرض إن أشعتها تتصل اتصالاً وثيقاً بكل ذرة من ذرات الأرض فكذلك الروح كالشمس بعيدة حيثما ذهبت وانطلقت إلا أن أشعة من الروح تصل إلى الجسد التي انفصلت عنه في دار الدنيا هذه الأشعة لا تنفك وبهذه الأشعة يشعر الجسد بالنعيم إذا تنعم ويشعر بالألم إذا تألم وهذا هو تفسير السؤال الذي يقوله السائل أنا أفتح القبر فلا أجد إلا جسداً هامداً وكيف أو من بأنه يشعر إن الروح ليست في داخل الجسد ولكن الروح حيثما كان تتصل أشعته بهذا الجسد وأنت لا تدري كيف يتم هذا الاتصال لأن قوانين حياتنا الدنيا تتغير في تلك الحياة إذا كانت قوانين الأرض تتغير إذا انطلقنا إلى الفضاء فكيف لا تتغير هذه القوانين عندما نطلق من هذه الحياة إلى الحياة البرزخية هذا التفسير للموت ليس تفسيراً غيبياً دينياً خرافياً هذا التفسير هو التفسير العلمي الذي دعمه كتاب الله عز وجل وأوضحه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان الوقت متسعاً في محاضراتنا هذه لفتحنا ملف التفصيل في هذا الكلام ولكن لمن شاء أن يتبين التفصيل أن يرجع إلى مصادره ليرجع إلى كتاب الروح لابن القيم ليرجع إلى أي مصدر من المصادر التي تحدثت في هذا الموضوع .

فإذا عرفنا هذا المعنى أيها السادة إذن هان علينا أن ندرك الأمور الغيبية التالية هنالك ملكان إذا سوي الإنسان في قبره وانصرف عنه أهلوه وأقاربه كما يقول رسول الله يأتيانه فيسألانه من ربك وما دينك وما هذا الرجل الذي بعث فيكم هكذا أنبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأحاديث التي وردت في ذلك بلغت مبلغ التواتر المعنوي إذن هي أخبار قطعية.

وأعود فأقول أحدنا قد يسأل هذا الإنسان خرج من دار التكليف فلماذا تلاحقه الأسئلة بعد موته أيضاً والجواب أن هذا السؤال ليس مظهراً لتكليف يتم بعد الموت هذه الأسئلة وجوابها انعكاس لماضي الإنسان في حياته فإذا رحل الإنسان عن هذه الحياة الدنيا ييقين إيماني يغمر قلبه وإذا كان يتعامل مع الحياة على أساس أنها جسر يوصله إلى هذا المقر فإن هذه الأسئلة تكون نعيماً له وما أسرع ما يجيب لأنه يأخذ إلى قبره ذخراً من يقينه السابق الدنيوي فيقول الله ربي والإسلام ديني ومحمد رسولي ويقال قد عرفنا إن كنت لصالحاً وانظروا قد عرفنا إذن فيم السؤال هذا السؤال تجسيد لواقع ماضي تمتع به هذا الإنسان وأما الإنسان الذي انطلق من حياته هذه بشكوك ريب وحجب نفسه عن هذا المصير الراحل إليه ولم يتفكر إطلاقاً في الموت ولا في أحداثه وإنما حبس عقله ونفسه ورغائبه في ملاذ الدنيا وأهوائها هذا الإنسان يفاجأ بهذه الحياة البرزخية التي نقل إليها ومفاجأته تجعل عقله يزيغ ويتشتت فلا يحار جواباً نعم فيقول لا أدري ويُقال له لا دريت ولا تليت نعم يجب أن نعلم أن الإنسان يتعرض لهذا السؤال وما ينبغي أن نضع في أنفسنا هم كيفية الإجابة عن هذا السؤال إذا أردنا أن نضع هذا الهمّ فعلاً فلنترك هذه الوقفة مع الملكين ولنعمق يقيننا بالله ولنعمق حسن صلتنا بالله لا أقول نترك الدنيا أبداً ولكن فلنجعل الدنيا مطية للآخرة ولنجعل الدنيا كما قال الله **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** ما ينبغي لأحدنا أن يرتاب في هذا أبداً أيها السادة سنصل إلى هذه الحقيقة يجب أن نؤمن بها قبل أن يرتفع الحجاب وقبل أن نعيش هذا السؤال الأمر الآخر من الأمور المتعلقة بالموت نعيم القبر وعذابه أيضاً أمران حقيقيان دلّ عليهما الخبر المتواتر قرآناً والخبر المتواتر حديثاً انظروا إلى قول الله عز وجل **(ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون)** اليوم لا يوم القيامة أي ساعة خروج الروح العذاب ينتظرهم هذا كلام الله عز وجل ويقول الباري عز وجل في مكان آخر عن فرعون وآل فرعون نعم **(وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)** إذن هنالك نوعان من العذاب أحدهما عرض على النار وهو في القبر النار يعرضون عليها غدواً وعشياً وانظروا إلى كلمة يعرضون ما قال يدخلون لأن الدخول يوم القيامة ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ما هو هذا النعيم هذا النعيم يتمثل في أن الله إذا ختم للإنسان بخاتمة المغفرة أو الرضوان نسأل الله عز وجل أن يكرمنا بذلك جاءه هذا الملك فسلأناه الأسئلة التي قلنا عنها فإن أجاب فتحت له كوة من قبره يراه بعينه تريه الروح إياها كما قلنا فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة هذا هو مقرك يرى نعيماً مقيماً

تتعشقه الروح ويتمتع به الجسد فتكون لذته إلى يوم القيامة رؤية هذا المقر الذي بُشِّرَ به والعكس أيضاً لو أن إنساناً ختم له بالسوء وارتحل عن هذه الدنيا وهو لا يعلم لنفسه مصيراً كما قلنا وسأله الملكان فقال كما قال رسول الله لا أدري يُقال له انظر إلى مقعدك من الجنة قد أبدلك الله به مقعداً من النار وينظر فيجد مقراً تلظى فيه الأجساد وفيه كل أسباب الشقاء والتعذيب فيكون عذابه هذا الإنذار الذي تلقاه إلى يوم القيامة نعم إذن يجب أن نؤمن بأن هنالك نعيماً في القبر وأن هنالك عذاباً وينبغي أن نكون على بينة من هذه الحقيقة.

ومرة أخرى أقول قد يقول أحدنا إننا نحفر القبور فلا نرى إلا رمة ولا نرى إلا عظاماً نعم فكيف يمكن أن نتصور أن صاحب هذا القبر يتنعم أو يتعذب؟ قد قلت لكم عن معنى الموت كلاماً يجب عن هذا السؤال: الجسد تحول إلى ذرات وتفتت واطمحل وتلاشى نعم ولكن هذه الذرات مهما تحولت تنعكس عليها أشعة الروح أينما كانت وتتلقى ذرات الجسد مهما تتطورت هذا الشعور بالعذاب أو الشعور بالنعيم ونقطة الضعف في الإنسان أنه عندما يسأل هذا السؤال يمسك بمقاييسه وموازنه الدنيوية للمعرفة ويسأل ويتنظر أن يأتي الجواب طبق موازينه الدنيوية هذه هذا خطأ كبير نحن في تلك الحياة الدنيا نخضع لقانون آخر في تلك الحياة البرزخية نخضع لقانون آخر ومن رحمة الله أنه جعل في حياتنا الدنيوية إطلالة صغيرة على هذا المعنى حتى لا يحار الإنسان طويلاً وانظروا إلى الرؤيا الإنسان عندما ينام روحه تنفصل عنه انفصلاً جزئياً وتستطيع أن تمارس ممارسة جزئية انطلاقتها جزئية نعم عندما تجوب الروح هكذا في بعض الأحيان تشعر بألم أو تشعر بمتعة أرأيت إلى الجسد النائم إنه يتلقى شعور الروح وهو نائم وما أكثر الناس الذين يرقدون في فراش وثير ولكنهم يتقلبون في ألمٍ ممض وإذا استيقظ أحدهم شعر كأنه قد خرج من تحت سياط لاهبة تلهب جسده شعر بألم حقيقي نعم في كيانه ذلك لأن الروح تعذبت بسبب ما وتألمت وبما أن الصلة مستمرة بين الروح والجسد سرى ذلك الشعور إلى الجسد كذلك الإنسان كثيراً ما يرى رؤيا يتنعم فيها يرى مناظر يرى أشياء ومعظم الرؤى تُنسى ودائماً الإنسان في رؤى لأن الروح دائماً تجوب لكن بعض هذه المشاعر الروحية تجس في العقل الباطن ولا يدركه العقل الظاهر والبعض يطفوا على السطح عندما يشاء الله عز وجل أن يخبر عبده بخبر ما أن يبشره ببشارة ما يطفوا هذا الشعور على العقل الظاهر وهذا معنى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ((الرؤيا الصادقة ثلاث وأربعون جزءاً من النبوة)) لأنه موحى الإلهي بشكل ما أنبأه الله وبإشارة ما فإذا عرفنا في حياتنا الدنيوية معنى من هذا القبيل فما أيسر أن

نعلم أن الجسد الذي تراه لا يتحرك يشعر بالنعيم أو العذاب أنا أرى إنساناً ينام في فراش وثير ولا أكاد أصدق إذا استيقظ وقال كنت أضرب بسياط.

هذا الشيء الثاني الذي ينبغي أن نعلمه أو الثالث الذي ينبغي أن نعلمه من أحداث الموت النتيجة التي أريد أن أصل بكم إليها هي قرار علمي يطرد وهماً خرافياً طالما علق بأذهان كثير من الناس خلال القرون الماضية ألا وهو بطلان التناسخ.

الفرعنة القدماء وبعض الرومان كانوا يتصورون أن الأرواح محدودة والأجساد غير متناهية كثيرة فإذا خرجت الروح من جسم صاحبها استقرت في جسم آخر نظراً لأن الأجساد كثيرة غير متناهية أما الأرواح فمحصورة ومعدودة وخرافة وهذا الكلام وهم باطل أولاً هذا أمر غيبي وقد عرفنا أن الجسد بيننا وبين الأمور الغيبية هو شيء واحد الخبر اليقيني الذي ينبثق من مصدر موثوق به ثقة علمية فمن أين جاءنا الخبر اليقيني عن التناسخ هذا وهم تصوره بعض السذج ثم تناقله بعض كتاب الحضارات ثم تلقفه بعض أصحاب التصورات والأخيلة المبنحة والدليل العلمي الذي نعتمد عليه في أن التناسخ وهم وخيال قول الله عز وجل **(كل نفس بما كسبت رهينة)** أي كل روح محبوسة بما كسبته في دار الدنيا إذن الروح محبوسة على جسدها وهذا الذي قلناه الآن فيما يتعلق بالأمور العائدة إلى الحياة البرزخية كيف يمكن للإنسان أن يتنعم في قبره إذا كانت روحه انفصلت عنه واستقرت في جسد آخر كيف يمكن للروح أن تشعر بالعذاب إذا كانت روحه انفصلت عنه انفصلاً كلياً ثم حبست في جسد آخر كيف يمكن أن يتم السؤال ويوم القيامة كيف يحاسب الله عز وجل عبداً عاش حياتين في دار الدنيا ثم يقول الله عز وجل على لسان الناس الكافرين يوم القيامة إذ يتوسلون ويتضرعون إلى الله أن يعيدهم إلى الدنيا يقول أحدهم ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل أمتنا اثنتين الإمامة الأولى قبل الحياة قبل الولادة والإمامة الثانية في القبر الحياة البرزخية وأحييتنا اثنتين الحياة الدنيا والحياة هذه التي عدنا فيها يوم القيامة فلو كان التناسخ صحيحاً لكان ينبغي أن يقول قائلهم ربنا إنك أحييتني عشرين مرة أو عشر مرات أو خمس مرات مثلاً هذا ونحن لا نملك دليلاً علمياً إلا الخبر وأعيدكم إلى المنهج الذي تكلمنا عنه نحن أمام أمور غيبية لو كانت المسألة خاضعة للتجربة والمشاهدة لتركنا الخبر وأخضعنا هذه المسألة للأجهزة ووسائل التجربة والمشاهدة.

والآن ننتقل إلى مسألة أخرى من المسائل الغيبية أشراط الساعة العلامات التي تقع بين يدي الساعة وهنا لا بد أن نذكركم بأن ميقات قيام الساعة أمر مجهول عن عباد الله جميعاً بل عن الخلائق جميعاً فلا النبي ولا الرسول ولا الصالحون ولا العلماء ولا الفلاسفة لا يمكن لأحد منهم في أي عصر

من العصور أن يعلم الميقات الدقيق لقيام الساعة وكلنا نقرأ كلام الله عز وجل **(ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عند الله) وإنما أداة حصر (إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين)** ولكن الله وقد أخفى عنا ميقات قيام الساعة نبهنا إلى علامات بين يديها وهذه العلامات منها ما يسمى علامات صغرى ولا مشكلة في أن لا يعرف الإنسان هذه العلامات لأنها وردت بأحاديث صحيحة نعم لكنها أحاديث آحاد لم تبلغ درجة التواتر فقد تكون ظنيّة بالنسبة لفكر بعض الناس ومن ثم فإن الله لم يكلفنا بأن نبني عقيدة جازمة على خبر آحاد قد يورث الظن هذه الأشرطة الصغرى مظنها وقع وأذكر منها على سبيل المثال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عمر بن الخطاب الحديث المشهور الذي يقول في أوله **((بينما نحن جلوس عند رسول الله إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد جلس إلى رسول الله يسأله كان آخر سؤال متى الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال فما هي أشراتها قال أن تلد الأمة ربتها))** أي أن يشيع العقوق بين الأبناء والأمهات أو البنات والأمهات بحيث تكون الأم أمةً لابنتها وتكون الابنة سيدة أي تمارس البنت مع أمها ممارسة السيد أو السيدة مع الأمة أو العبد ويقول بعد ذلك **((وأن تجردوا الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان))** ولا أريد أن أضيف إلى كلام رسول الله شرحاً فبوسعنا جميعاً أن نعلم مصداقه، كذلك الرسول عليه الصلاة والسلام يقول **((صنفان من أمتي لم أراهما قط))** أي يكونون قرب قيام الساعة **((نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت))** جمع سنام سنام البعير معروف **((كأسنمة البخت المائلة ورجال يحملون سيّاطاً كأذنان البقر يضربون بها الناس أولئك لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا عام))** وأحاديث كثيرة أخرى **((لا تقوم الناس حتى يتباهى الناس بزخرفة المساجد))** هذه الأشرطة أشرطة صغرى ولا إشكال في أن لا يعرفها الإنسان لأن كثيراً من العوام لم يسمعوا بها قط.

لكن هنالك أشرطة كبرى ينبغي أن نكون على بينة منها أنا في هذه المحاضرات أركز على أهمها وبإمكانكم أن تعودوا إلى سائرهما في المصادر المعروفة أولاً ظهور الدجال ثانياً نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ثالثاً ظهور خليقة على وجه الأرض يسمى يأجوج ومأجوج رابعاً ظهور الشمس من مغربها وذلك إيدان بإغلاق الله لباب التوبة.

وستكلم باختصار عن كل من هذه الأمور الغيبية الأول الدجال الدجال لقب وليس اسماً كلمة دجال على وزن فَعَال أخذت من الدجل والدجل الختل والخداع الشديد أما الاسم فالله أعلم باسمه

أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الرجل الذي يكون ظهوره شرطاً من أشراف الساعة الكبرى أخبرنا بأحاديث كثيرة جداً وكلها صحيح بلغت مبلغ التواتر المعنوي في حديث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إني أنذركموه وما من نبي إلا وقد حذر أمته منه ولكني أقول فيه كلاماً ما قاله أحد نعم إن عينه الواحدة طافية)) أي إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور أي فلا لأنه يدعي الربوبية نعم وقد ثبت في الصحيح أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يختم صلاته بهذا الدعاء ((اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة الحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال)) نعم ويخبرنا رسول الله كيف يعثو يمينا وكيف يعثو شمالاً ويقول يا عباد الله ألا فاثبتوا أي لا يغرنكم خداع هذا الدجال نعم ويخبرنا أنه يظهر من جهة المشرق وأنه يدعي الصلاح والتقوى ثم يدعي النبوة ثم يدعي الربوبية نعم هذا ما أظن أنني بحاجة إلى استعراض الأحاديث الكثيرة في هذا الصدد ماذا يصنع هذا الكائن هذا الإنسان يؤتبه الله مقاليد الأرض ويؤتبه الله الذخر كله والمال كله فيستطيع أن يتحكم بالمال ويستطيع أن يبدل ويغير في الأشياء وتلك هي فتنته الكبرى فأما الإنسان الذي لم يملأ الإيمان قلبه فيؤخذ بهذا عقله ربما يظن أنه إله فعلاً ويؤخذ قلبه لأنه يجد المغريات التي يعطيها لمن يتبعه وأما الإنسان الذي فاض الإيمان في قلبه فهو يزداد إيماناً لأنه يرى في ظهوره مصداق خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إن هلاكه يكون على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام يلحقه بباب لد يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتله أنا الآن أتكلم في أمر غيبي وكأني بأحدكم يتصور أن هذا نسيح خيال نعم لقد كان من الممكن أن يكون نسيح خيال لو لم يسبق أن آمننا بالله ثم آمننا بنبوة محمد عن طريق العلم عليه الصلاة والسلام ولو لم نؤمن بأن القرآن كلام الله عن طريق العلم أما وقد آمننا بمحمد عليه الصلاة والسلام عن طريق العلم فلا يسعنا باسم العلم إلا أن نصدق ما قاله رسول الله بأحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر المعنوي هذا ليس خيالاً وهو واقع انظر الرسول تحدث عن أشراف صغرى ظهرت كيف ظهرت عندما قال ((وأن تجردوا الحفاة العراء رعاء الشاة يتطاولون في البنيان)) عندما قال ((لا تقوم الساعة حتى تعود أرض الجزيرة العربية مروجاً وأنهاراً)) من الذي كان يصدق أرض الجزيرة العربية كانت أرضاً قاحلة يضرب بها المثل كانت تجبي إليها الثمرات الآن يجبي منها الثمرات إلى بلاد الشام وغيرها كما صدق خبر الله في هذه الأحداث الصغرى سيصدق خبره في هذه الأحداث الكبرى أيضاً أظن أن هذا القدر كافٍ من الحديث عن الدجال الآية الثانية من آيات قرب قيام الساعة نزول عيسى عليه الصلاة والسلام ولا بد أن نفصل القول في هذه المسألة أكثر نزول عيسى إذن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يمت لأننا لا نقول من

آيات الساعة إحياء الله لعيسى بل نزول عيسى وهذه صيغة الحديث إذن سيدنا عيسى حي يجب أن نعلم هذا لم يمّت بعد ولكنه سيموت في الأرض بعد أن ينزل ما الدليل على أن سيدنا عيسى حي وليس بميت.

لا بد أن أقول كلاماً دقيقاً مفصلاً في هذا لأنه هنالك فئة من الزنادقة المبطلين صنيعة بريطانيا يفسدون عقول المسلمين يأخذون المال الغزير سراً ويحاربون به دين الله جهراً هم أتباع غلام أحمد القادياني أي القاديانيون هؤلاء الأشخاص المدللون على بريطانيا سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لم يمّت بعد ما الدليل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى في كتابه **(وما قتلوه وما صلبوه)** ثم يقول **(وما قتلوه يقيناً)** بعد ذلك **(وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه)** نحن عرب وانظروا معنى هذا الكلام الواضح الصريح القاطع **(ما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه)** هذه آية الآية الثانية يتكلم الله في سورة النساء عن سيدنا عيسى وكيف أن اليهود لغوا فيه وكيف أن المبطلين أهوه يقول الله عنه **(وإنه لعلم للساعة)** أي لشرط من شروط الساعة وفي قراءة **(وإنه لعلم للساعة)** والآية الثالثة قول الله عز وجل **(وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به)** الكلام أيضاً عن سيدنا عيسى **(إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً)** إذن هو لم يمّت بعد بنص القرآن **(وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به)** أي لا بد من فئة من فئات أهل الكتاب أن يؤمنوا بعيسى عبداً لله كما أخبر الله عنه لا إلهاً ولا بد أن يكون هذا في دار الدنيا وقبل موت عيسى هذه الآيات قاطعة صريحة إلى جانب الأحاديث **((لينزلن فيكم عيسى بن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب))** معنى هذا الكلام يكسر الصليب أي ينتهي أسطورة الصليب من عقول الناس ويقتل الخنزير فيغدو محرماً على وجه الأرض أجمع وينتهي يعود الناس كلهم إلى ملة واحدة ودين واحد نعم وأحاديث كثيرة لا أظني بحاجة عشرات الأحاديث الصحيحة جاءت في بيان معنى هذا الذي أقوله لكم قد يقول قائل وهذا ما يلعب به الورقة التي يلعب بها القاديانيون بعقول الناس وأذهانهم ألم يقل الله **(وإذ قال الله يا عيسى بن مريم إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا)** إذن فقد رفعه الله بعد أن توفاه فما الجواب أيها الإخوة لنرجع إلى كتاب اللغة لنفهم معنى الوفاة لنرجع إلى أساس البلاغة للزمخشري أو لسان العرب لابن منظور أو شرح القاموس أو أي كتاب في اللغة سنجد أن كلمة الوفاة وفاء الشيء بمعنى استيفائه كاملاً أنا توفيت حقي أي استوفيته كاملاً توفيتك أخذتك من بين برائن الأعداء كاملاً وتطلق كلمة التوفي والوفاة على الموت مجازاً فهو من الجاز الشائع وليس حقيقة معنى كلام الله إذن **(وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك)** أي سأستوفيك جسداً وروحاً وأخذك من برائن اليهود نعم

ورافعك إلي إلى آخر الآية وهذا هو الذي ينسجم مع اللغة العربية ويتفق مع قول الله عز وجل **(وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه)** لو قلنا إن عيسى بن مريم مات ما معنى بل رفعه الله إليه هل السماء مقبرة حتى يرفع جسد سيدنا عيسى فيدفن في السماء كيف لا يمكن أن يتصور عاقل هذا المعنى الأجوف في القرآن الكريم والحمد لله رب العالمين.

